PHOTO:PLANINTERNATIONAL

تصف دراسة الحالة هذه كيف عالجت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا UNRWA) مسائل عمل الأطفال في مراكز التوزيع في غزة من خلال مشروع متكامل للتعليم والتعزيز الاقتصادي والحماية.

الخلفيّة

يشكّل عمل الأطفال في غزة هاجسًا كبيرًا لحماية الأطفال بسبب أوضاع اجتماعية واقتصادية معقّدة. يدوم عمل الأطفال بسبب نظم حماية غير ملائمة وصراع متكرّر وعدم استقرار سياسي وحصار مستمرين. أثّرت هذه الظروف على الاقتصاد المحلي بشكل كبير وتسببت بتراجع في التنمية، ممّا خلق حلقة مفرغة من البطالة التي تؤثر على ٤٤ في المئة من الناس. يؤثر الفقر على حوالي ٧٠ في المئة من اللاجئين الفلسطينيين. نظرًا لأن الفقر هو المحرك الوحيد الأكثر أهمية لعمل الأطفال، فليس من المستغرب أنّه في حين انخفض عدد الأطفال العاملون عالميًا[١] يزداد عمل الأطفال في غزة[٢] ويشكل تهديدًا خطيرًا لرفاهية الأطفال الجسدية والعقلية والعاطفية.

يُعتبر عمل الأطفال آلية تأقلم شائعة لاسيما بالنسبة للصبيان إذ يظهر بشكل متكرّر في العائلات الكبيرة التي تضم ستة أطفال أو أكثر وفي الأسر التي يكون فيها الأهل محدودي التعلّم وفي الأسر التي فقدت مصدر دخلها أو سبل كسب عيشها أو معيلها الأساسي[٣]. أظهرت التقييمات السريعة لحماية الطفل في عام ٢٠١٨ أنّ ٨٨ في المئة من المخبرين الرئيسيين يعرفون أطفالًا قد شاركوا في أعمال خطرة. تشمل الأشكال الشائعة لعمل الأطفال العمل اليدوي الشاق مثل نقل البضائع أو العمل في قطاع البناء ممّا يعني أنّ الأطفال العمّال الأكثر ظهورًا هم من الصبيان. الأطفال الذين يعملون في الشوارع معرّضون بشكل خاص للعنف والإساءة، نفسيًا وجسديًا. وبالتالي تكون المساهمة المالية المحدودة التي يمكنهم تقديمها لعائلاتهم مكلفة جدًا وعلى حساب رفاهيتهم ومستقبلهم.

طوّرت الأونروا مشروعًا متعدد القطاعات لتقديم بدائل للأطفال الذين كانوا يعملون كحمّالين حول مراكز التوزيع التابعة للأونروا ولإنشاء بيئة مساعدة لاستمرار تعليمهم وتنميتهم. تمّ شمل هذا المشروع الذي مدّته عام واحد في خطة الاستجابة الإنسانية لعام ٢٠١٧ في غزة وتمّ تمويله من قبل الوكالة السويسرية للتنمية.

١. منظّمة العمل الدولية (٢٠١٣). إحراز تقدم في مكافحة عمل الأطفال – التقديرات والاتجاهات العالمية ٢٠٠٠-٢٠١٢.
٢. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (٢٠١٦). وضع حقوق الأطفال الفلسطينيين.
٣. مجموعة عمل حماية الطفل في غزة ومؤسسة أرض الإنسان (Terre des Hommes Foundation) (٢٠١٨). تقرير التقييم السريع لحماية الطفل. كان مكتب غزة الميداني التابع للأونروا جزءًا من اللجنة التوجيهية الفنية للتقييم السريع لحماية الطفل وقد ساعد في جمع البيانات في الميدان.

مشروع عمل الأطفال متعدد القطاعات

هدف المشروع إلى تخفيف أخطار عمل الأطفال وإيجاد بدائل للأطفال الذين يعملون كحمّالين حول مواقع التوزيع التابعة للأونروا. تضمنت المكونات الرئيسية للمشروع: الدعم الفردي بما في ذلك الفصول الدراسية وإعادة الاندماج في المدرسة والتدريب المهني والمساعدة المباشرة مثل تقديم الزي المدرسي أو الملابس المدرسية. استهدفت العائلات من خلال مشاريع عائلية صغيرة مدرّة للدخل. واستهدف المشروع ١٣٨ طفلًا تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٧ عامًا، بالإضافة إلى إخوتهم وعائلاتهم عبر ١٢ مركز توزيع.

اعتُبرت الأنشطة التالية أفضل طريقة لتحقيق هذا الهدف:

١. تحديد الأطفال المعرّضين لخطر عمل الأطفال وإحالتهم

- حدّد مديرو مراكز التوزيع الاثني عشر ومشرفو التدخل الاجتماعي وموظفو دعم العمليات الأطفال العمّال في المراكز وحولها. كما هو متوقع، كان جميع الأطفال الذين تمّ تحديدهم على أنّهم يعملون خارج مراكز التوزيع هم من الصبيان.
- بعد التحديد، أقام المستشارون من فرق الصحة العقلية المجتمعية اتصالات مع عائلات الأطفال للحصول على الموافقة والتخطيط لعقد اجتماع.
- أجرى المستشارون مقابلات مع كلّ طفل وعائلته وتم جمع معلومات أساسية خلال المقابلات الأولية حول الأمور التالية:
  - وضع اللاجئ: ضمن ١٣٨ طفلًا تم تحديدهم، ثمّة ١١٥ لاجئًا فلسطينيًا مسجلين لدى الأونروا و١٣ من غير اللاجئين.
  - العمر: تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٧ عامًا.
  - تكوين العائلة: الغالبية (١٢٧) منهم ينحدرون من عائلات فيها أكثر من ستة أفراد.
  - أسباب العمل: عدم استطاعة عدد من العائلات تلبية احتياجاتها اليومية، وفي بعض الحالات، كان الأطفال يكمّلون دخل الأسرة. بالإضافة إلى الصعوبات المالية، تبيّن أنّ ضعف أداء الطفل في المدرسة وعدم تقدير الأهل لقيمة التعليم من بين العوامل المهمّة لعمل الأطفال.
  - المال المكتسب: كان معظم الأطفال (٨٦) يتقاضون أقل من ١٠ شيكل (٣ دولارات أمريكية) في اليوم.
  - الحضور إلى المدرسة: حوالي ٦٠ في المئة (٨١) منهم لم يكونوا في المدرسة.

أحيل الأطفال غير اللاجئين إلى «مركز العمل التنموي / معًا»، وهي منظمة غير حكومية فلسطينية قامت بتقييم كلّ طفل وقدّمت الدعم لإدارة الحالة وخطط التدخل. من أصل ١٣ عائلة، رفضت عائلة واحدة فقط المشاركة في التقييم أو المشروع.

٢. خدمات إدارة الحالة

- بدأت إدارة الحالة لكلّ طفلٍ تمّ تحديده. وشمل مجموع الحالات ١٣٨ طفلًا من ١٠٣ عائلات، لأنّ عدد من الأطفال هم من نفس العائلة. تمّ تعيين ست إلى سبع حالات لكلّ مرشد اجتماعي من المرشدين الاجتماعيين الستة عشرة.
- تمّ الانتهاء من تقييمات الاحتياجات من خلال العمل بشكل مباشرة مع كلّ طفل وعائلته لفهم احتياجاتهم ومناقشة خطط الاستجابة والتدخل المناسبة والاتفاق معهم عليها.

٣. التدخلات حسب الحاجة

نظرت التدخلات في احتياجات كلّ عائلة وإمكاناتها، الأمر الذي كان أساسيًا في الاستجابة الفعّالة لغالبية الحالات. على سبيل المثال، في بعض الحالات، كانت العائلات تقدّر التعليم ولكنها لم تمتلك الموارد المالية لإعالة أطفالها. وفي حالاتٍ أخرى، لم يرَ الأهل أي قيمة أو سبب للتعليم أو ببساطة لم يعرفوا ما هي الخدمات المتاحة لدعم الأطفال الذين يحتاجون إلى مساعدة إضافية في التعلّم. وفي بعض الحالات كانت العائلات تتمتع بقدرات ومهارات واضحة لتطوير الأعمال التجارية لتحسين وضعها الاقتصادي ولكنها تفتقر إلى الموارد المالية.

صمّمت التدخلات وفقًا لوضع الأطفال وعائلاتهم الخاص، وتضمّنت:

- المساعدة المالية للعائلات من أجل الحصول على الزي المدرسي والقرطاسية ليُكمل الأطفال العمّال الدراسة أو يستأنفونها؛
- فصول دعم للأطفال الذين تسرّبوا من المدرسة أو تخلّفوا في الدراسة، بالإضافة إلى أشقاء الأطفال العمّال الذين كانوا معرضين لخطر التسرّب أو عمل الأطفال؛
- التدريب المهني للأطفال الأكبر سنًّا وأولئك غير القادرين على الاندماج في المدرسة؛
- دعم مدر للدخل للعائلات التي لديها أفكار لأعمال صغيرة؛
- الدعم النفسي والاجتماعي؛
- جلسات مناصرة التعليم للأهل والعائلات.

٤. الرصد والتقييم

تم إجراء الرصد من خلال تحليل بيانات إدارة الحالة ومن خلال رصد المشاريع وإدارتها ومتابعتها بانتظام. تمّ تقييم أهمية التدخلات وفعاليتها من خلال:

- حضور الأطفال إلى المدرسة وحضورهم في التدريب المهني (يتم رصد الأطفال الذين أعيد دمجهم في المدرسة بعد فترة من عدم الحضور)؛
- النتائج الدراسية (تم تقييم نتائج امتحانات الأطفال الملتحقين بالمدرسة مقارنةً بمتوسط درجاتهم الذي تم تقييمه قبل بدء المشروع)؛
- ردود فعل الأهل والمعلمين؛
- تقارير من المرشدين الاجتماعيين.

تضمّن تمرين الدروس المستفادة مع موظفي المشروع مناقشات جماعية حول الأمور الناجحة والتحديات التي تمّت مواجهتها والتعديلات التي يمكن إجراؤها لتحسين الفعالية. تمّ إجراء مقابلات متعمّقة مع الأطفال والأهل لمعرفة آرائهم مباشرةً منهم حول فوائد مقاربة المشروع وتحدياتها.

النجاحات

تضمّنت نجاحات المشروع الرئيسية ما يلي:

- من أصل ١٣٨ طفلًا تمّ تحديدهم، وافق ١٢٦ منهم (٩١ في المئة) على تلقّي أشكال مختلفة من الدعم، بما في ذلك إدارة الحالة والدعم النفسي والاجتماعي؛
- تلقّى ٤٥ طفلًا (٣٢ في المئة) بالإضافة إلى ٨٩ من الأشقاء المعرّضين للخطر دعمًا تعليميًا يشمل مواد الرياضيات والعلوم واللغتين العربية والإنجليزية؛
- من أصل ١٣٤ طفلًا ملتحقًا يتلقون دعمًا تعليميًا، كان أداء ١١٣ طفلًا (من أصل ١٣٤) جيدًا في المدرسة في الفصل الدراسي الأول؛
- التحق ٤٣ طفلًا (٣١ في المئة) بالتدريب المهني؛
- بدأت تسع عائلات بأنشطة لدعم الدخل؛
- التحق ستة أطفال في فصول تعلّم القراءة والكتابة (سيلتحق المزيد قريبًا)؛
- عاد ١٩ طفلًا ممن تسرّبوا من المدرسة إلى المدرسة بدوام كامل وتحسنت درجات أولئك الذين كانوا لا يزالون في المدرسة ولكنهم يرسبون بعد حضور فصول الدعم؛
- شملت التغييرات في المواقف والرفاهية تغييرات إيجابية في مواقف الأهل والأطفال حول أهمية التعليم وتغييرات إيجابية كبيرة في الثقة الأطفال بذاتهم واحترام للذات وأصبحت العائلات أكثر انخراطًا في حياة أطفالهم وذكر المزيد من الأهل أنهم يتابعون تقدّم أطفالهم بفرح وفخر.

التحديات

واجه المشروع تحديات عدّة تتعلّق بشكل رئيسي بتعقيد الحالات ونقص الموارد المتاحة.

- عبء العمل: تمّت إدارة المشروع داخليًا من بدون التعاقد من الباطن للأنشطة ومن دون موظفين إضافيين، باستثناء المعلمين الذين يقدمون التدريب المهني. تولّى جميع الموظفين المعنيين المهام المتعلقة بتنفيذ مشروع عمل الأطفال بالإضافة إلى واجباتهم العادية. وهذا يعني زيادة كبيرة في عبء العمل، لا سيما بالنسبة إلى المرشدين الاجتماعيين الذين يتعاملون مباشرة مع الأطفال وعائلاتهم، بالإضافة إلى حالاتهم الاعتيادية.
- تعقيد الحالات: تطلّبت الطبيعة المعقّدة للكثير من حالات عمل الأطفال من الموظفين تخصيص وقتٍ أطول بكثير ممّا كان متوقعًا في البداية. بالإضافة إلى ذلك، كانت بعض الحالات غير مؤهلة للتدخلات المتاحة. على سبيل المثال، من بين الأطفال الذين تمّ تحديدهم في البداية ٢٢ كانوا أكبر من أن يتمّ إعادة دمجهم في المدرسة؛ في الوقت نفسه، لم يستوفوا معايير الالتحاق بالتدريب المهني الذي يتطلّب إكمال الصف السادس. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أيضًا تحديات في تسجيل هؤلاء الأطفال في دورات تعلّم الكتابة والقراءة الأساسية بسبب توقيت هذه الدورات ومواقعها.
- الوسائل المالية: كانت الموارد المالية المحدودة المتاحة في المشروع غير كافية للتصدّي لحجم عمل الأطفال وتعقيدها. كما أدّت القيود المالية إلى الحدّ من نطاق الدعم المتاح لفصول الدعم والأنشطة المدرّة للدخل.

الدروس المستفادة

- يعتبر هذا المشروع مثالًا على مقاربة متكاملة ومتعددة القطاعات لعمل الأطفال في سياق إنساني وكان فعّالًا في التصدّي لقضية عمل الأطفال الراسخة والمعقّدة والحساسة. أتاح التعاون الفعّال التخطيط والتنفيذ والتعلّم ذات التخصصات المتعدّدة.
- تمحور الجانب الآخر الناجح من المشروع حول التركيز على العائلة بأكملها وعلى نظام الدعم المحيط بالطفل بهدف بناء القدرة على التكيّف وتعزيز القدرات داخل العائلة لكي يتمّ توفير دعمًا أكثر استدامة بعد انتهاء المشروع. وشمل ذلك إشراك جميع أفراد العائلة وبناء فهم أعمق لمواطن ضعفهم وقدراتهم.
- قدّم المشروع دعمًا ملموسًا ونتائج ملموسةً للأطفال في حالات الحماية الخطيرة والمعرّضين للعنف والاستغلال اليومي. تواجد عدد من هؤلاء الأطفال في أسوأ أشكال عمل الأطفال وكانوا خارج المدرسة بينما كان آخرون يحضرون بشكل غير منتظم ومعرّضين لخطر التسرّب. كان لدى معظم العائلات توقعات وآمال محدودة لمستقبل أطفالهم. تمّ عكس هذا الوضع بالنسبة لعدد كبير من الأطفال في المشروع. أقرّ الأهل على نطاق واسع بالتأثير الذي أحدثه المشروع على حياتهم، حيث أنه أخرج أطفالهم فعليًا من عمل الأطفال.
- عمّق المشروع، ولا سيما عملية إدارة الحالات، فهم الفِرَق لموضوع التصدّي لعمل الأطفال في غزة والعوامل الضمنية المعقّدة التي تؤدي إلى حالات الحماية الخطيرة هذه. اشترك الأطفال في المشروع في بعض أكثر أشكال عمل الأطفال وضوحًا. سمح المشروع للأونروا بفهم أشكال عمل الأطفال هذه بشكل أفضل من أجل التدخل المحتمل (على سبيل المثال، الأطفال الذين يعملون ليلًا في قوارب الصيد أو يجمعون المعادن الخردة والبلاستيك في مواقع القمامة). ولكن، في ظلّ الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد وبدون دعم إضافي، ستستمر الهواجس العاجلة والخطيرة بشأن حماية الطفل، وبشكل أكثر وضوحًا عمل الأطفال، في الازدياد.

قصة حالة محمود: من حمّال إلى طالب

محمود - «استغله الناس لأنه كان طفلًا»

محمود، البالغ من العمر الآن ١٧ عامًا، بدأ العمل كحمّال في مركز توزيع عندما كان في التاسعة من عمره. وهو الابن الأكبر من بين سبعة أطفال، وأصبحت وظيفته إعالة عائلته بعد أن أُجبر والده على التخلي عن العمل بسبب مرض في القلب.

كان محمود يتغيّب عن المدرسة من أجل العمل ويقضي بقية اليوم مع والده في المستشفى. تأثرت درجاته المدرسية بسبب عدم قدرته على التركيز. وعلى الرغم من أنّه أنهى الصف التاسع، إلا أنّ حضوره المتقطّع أدّى إلى عدم تعلّمه القراءة والكتابة. تقول والدته إنّه في مركز التوزيع، «استغله الناس لأنه كان طفلًا... وكان يحصل على ٢٠ شيكل (حوالي ٦ دولارات أمريكية) مقابل تحميل نصف شاحنة، ولكن في معظم الأيام كان يجني ٥ شيكل فقط ويعمل من الساعة ٨ صباحًا حتى ٥ مساءً».

في عام ٢٠١٦، توفي والد محمود بعد سنوات عديدة من المعاناة الصحية المؤلمة وتزايد أعباء الديون الطبية على العائلة. كانت هذه نقطة فاصلة بالنسبة إلى محمود، وألقت سنوات من التوتر والمشقة بثقلها عليه. وفقًا لوالدته، بدأ يصف نفسه بالفاشل، وبدأ يقول: «يستخدمني الناس». واجه محمود والدته وأخبرها أنه سيبدأ بتجارة الترامادول لدعم العائلة. رفضت والدته خطته، ولكنه أصرّ على الفكرة إلى أن دعي للمشاركة في المشروع.

منذ تشرين الثاني/نوفمبر، كان محمود يحضر تدريبًا على التبليط في مركز التدريب. في البدء، كانت بداية التدريب صعبة بالنسبة إليه فهو لم يكن يعرف أي شيء عن التبليط، ولم يعتقد أنه سيحب هذه المهنة. وفقًا للمستشار في المركز، كان يكسر البلاط عن قصد. وعلى الرغم من ذلك، في وقت المقابلة (نهاية كانون الثاني / يناير)، لم يكن قد فاته يومًا واحدًا من الدورة وكان يُظهر تقدمًا كبيرًا.

على الرغم من استمرار التدريب، فقد عرض بالفعل مهاراته في التبليط في منزله وتعاقد مع أحد الجيران للمساعدة في إكمال مشروع تبليط منزل. إنه فخور بمهاراته الجديدة، ويخبر الجميع عن تدريبه ويأمل أن يبدأ في الحصول على المزيد من العملاء قريبًا. لم يكتسب محمود مهارات مهنية جديدة فحسب، بل تعلم أيضًا القراءة والكتابة بمساعدة المستشار. في مركز التدريب، بدأ في تكوين صداقات وممارسة الأنشطة الترفيهية مثل كرة القدم.

اعتاد اثنان من أشقاء محمود (١٤ و١٥ عامًا) العمل معه في مركز التوزيع، لكنهما الآن يذهبان إلى المدرسة مع أشقائهما الأصغر سنًا. بفضل الأموال التي حصلوا عليها من المشروع في بداية العام الدراسي، تمكّنت والدتهم من تحمّل تكلفة زيّهم المدرسي وحقائبهم المدرسية. جميعهم يحضرون بانتظام فصول الدعم، ووفقًا لوالدتهم، فإنهم يحرزون تقدمًا في المدرسة. ومع ذلك، فهي تخشى أن يتسرّبوا من المدرسة مرة أخرى بمجرد انتهاء المشروع. فهي تحاول متابعة تعليمهم معهم، لكنها غير متأكدة كيف ستسير الأمور في المستقبل. ومع ذلك، فهي تأمل في رؤية تقدّم محمود: «أشقاؤه يحبونه الآن. فهو يحب القراءة وإجراء الحسابات. إنه تغيير كليّ ولم أكن أتوقع حدوث ذلك. في البداية، لم يكن يريد حتى أن يستيقظ للحضور إلى مركز التدريب، لكنه لم يفوته يومًا واحدًا. وبات الآن ينظر إلى نفسه في المرآة طوال الوقت.»

٤. تمّ تغيير جميع الأسماء في قصة الحالة هذه بهدف حماية هوية الطفل.

قصة حالة أحمد ونور : كسر حلقة عمل الأطفال

يعيش أحمد ونور في شرق رفح، على بعد حوالي ٦٠٠ متر من الحدود مع إسرائيل، مع أطفالهما الستة في منزل ضعيف البناء. أحمد، البالغ من العمر حوالي ٥٠ عامًا، يمشي بصعوبة كبيرة ويرتدي سترة طبية لتقويم الظهر. يبدو أكبر بكثير من عمره الفعلي وهو هادئ خلال معظم الزيارة. تقدّر العائلة التعليم ولكنّها تكافح لتغطية نفقاتها. بدأ أحمد العمل منذ أن كان طفلًا كحمّال بضائع في مركز توزيع. بعد سنوات من العمل، بدأت الآن صحته بالتدهور وطلب من ابنه فاضل (١٥ سنة) مساعدته في مركز التوزيع. وفقًا لأحمد ونور، اضطروا للطلب من أطفالهم أن يعملوا ولا خيار آخر أمامهم.

وبدعم من المشروع، أطلق نور وأحمد عملهما الخاص في صناعة المنظفات ومنعمات الأقمشة لبيعها في الشارع. يكسبان حاليًا ما بين ١٥ و٢٠ شيكلًا في اليوم ويحتفظان بجزء من دخلهم جانبًا حتى يتمكنا من إعادة الاستثمار ومواصلة العمل. قبل بدء المشروع، نادرًا ما كان فاضل يذهب إلى المدرسة وكانت درجاته سيئة للغاية. كان من الممكن أن يسير فاضل على خطى والده بسهولة، ولكن بفضل تدخّل المشروع، فهو يحضر الآن تدريبًا مهنيًا على التبليط في كلية مجتمع تدريب غزة. تبتسم والدته بشكل عفوي وهي تقول «الحمد لله» أتيحت له هذه الفرصة: «فاضل بحالة أفضل بكثير الآن إذ أنه أكثر حماسة ولطفًا. إنه يستيقظ مبكرًا جدًا كلّ يوم للتأكّد من وصوله في الوقت المناسب إلى التدريب، وحتى أنّه يجلب الأدوات معه إلى المنزل أحيانًا حتى يتمكن من مواصلة التدريب».

لقد بدأ في جمع البلاط وأخبر والدته أنّ أول مشروع له بعد الانتهاء من التدريب هو تبليط المنزل. يريد ابنهما البكر (٢٤ عامًا) أن يصبح محاسبًا، وقد التحق ببرنامج محاسبة في الجامعة المحلية. ولكن كانت تكلفة البرنامج باهظة بالنسبة للعائلة، لذلك فهو يعمل الآن حمالًا في مركز توزيع. لقد أجّلوا تعليمه عدّة مرات بالفعل، ولكن بفضل الدخل الجديد الذي تكسبه العائلة، يأملون أن يتمكن من اكمال تعلّمه في العام المقبل. أمّا بالنسبة إلى الأطفال الأصغر سنًا الذين ما زالوا في المدرسة فهم مندفعين لمواصلة تعليمهم. يُظهر عمر (١٤ عامًا) تقريره المدرسي بكلّ فخر، فهو وأشقاؤه الأصغر سنًا متميّزون.

٥. تمّ تغيير جميع الأسماء في قصة الحالة هذه بهدف حماية هوية الطفل.

المزيد من الملومات والمصادر متاحين على:
https://alliancecpha.org
https://alliancecpha.org/en/child-protection-hub/child-labour-task-force